سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (10)

ديوان

أبي العباس أحمد المنصور السعدي

(ت: 1012 هـ)

د. نجاة المريني

بسم الله الرحمان الرحيم

تقديم:

تميز العصر السعدي بكثير من الخصائص والمميزات على عدة مستويات:

فعلى المستوى السياسي كانت معركة وادي المخازن (986 هـ) حدا فاصلا بين طمع الأجانب وتمرد الثائرين وبين تمكن السلطان عبد الملك السعدي، ومن بعده المنصور، من إرساء قواعد الحكم من جديد في المغرب، فتحقق الأمن والاستقرار بعد فترات قلاقل واضطرابات، وأصبحت مدينة مراكش مقصد سفراء الدول الإسلامية والأجنبية.

وعلى المستوى الاقتصادي نشطت الحركة الاقتصادية فكثرت المصانع، واتسع نطاق المعاملات التجارية مع الدول الأجنبية، فعم الرخاء والرفاه.

وعلى المستوى الحضاري بلغ العمران أوجه في بناء الدور والقصور، ويعد قصر البديع آية المعمار السعدي روعة ودقة.

وعلى المستوى الثقافي والأدبي نجد أن العصر السعدي من العصور المتألقة علما وأدبا وفكرا، وما الإنتاجات المتنوعة والكثيرة إلا دليل على نبوغ أبناء الفترة السعدية وتفوقهم في الميدانين الأدبي والفكري.

ولعل الظاهرة المتميزة في نبوغ هؤلاء الأبناء هي نبوغ الملوك والأمراء السعديين، فلم يكن الحكم ولا السلطة لتشغلهم عن الدرس والعلم، ولا عن المشاركة في فنون القول شعرا ونثرا .

ومن أبرز الملوك السعديين الذين نالوا شهرة سياسية وعلمية في عصرهم، وبعده السلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدي موضوع هذا البحث.

حياته:

هو أبو العباس أحمد المنصور السعدي ابن أبي عبد الله القائم بأمر الله، ولد بفاس سنة 956 هـ، أمه من الصالحات، وهي مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد الوزكيتي، تربى في بيت العز والملك " في عفاف وصيانة" وكانت مخايل الخلافة لائحة عليه من لدن عقدت عليه التمائم" (1) وكان والده المهدي "ينبه على أنه واسطة عقد أولاده". (2)

أما صفاته وأخلاقه فقد تحدث عنها بتفصيل ابن القاضي في كتبه "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور"(3)، والفشتالي في كتاب: "مناهل الصفا في أخبا الملوك الشرفا" حيث يقول عنه " كان دمث الأخلاق، ميمون النقيبة، حسن السيرة، خدن العافية، محبا للعلماء، ناجح المسعى، جماعا للأموال، مستكثرا من ذخائر الملوك، مولعا باقتناء نفسيها، طامع العين إلى كل مرمى بعيد". (4)

وتتنوع مشارب ثقافة المنصور السعدي، فتشمل الأدب واللغة والتاريخ والمنطق والفقه والحديث والرياضيات وغيرها من العلوم، فقد كان مبرزا في كل ميدان معرفي سلك شعابه، وفي ذلك يقول عنه شيخه المنجور "خليفة العلماء وعالم الخلفاء"(5)، ومن شيوخه: المنجور (تـ 995 هـ) صاحب "إجازته" الشهيرة، والقاضي الحميدي (تـ 1003 هـ)، والشيخ الجنوي (تـ 991 هـ) وغيرهم من الأعلام الذين كانت لهم إسهامات ومشاركات في الفقه والحديث واللغة والأدب والطب والرياضيات.

ولم يكن الملك الطالب ليكتفي بالأخذ من هؤلاء، بل إن مدارسة العلم واللغة معه قد أفادت شيخه المنجور حيث يقول: "كثيرا ما سامرته، وما رأيت أجود من فهمه وأكثر من علمه، أفاد مني واستفاد، لكن ما أفاد أكثر مما استفاد" . (6)

وينوه الشاعر الفشتالي بمخدومه المنصور في براعته الأدبية فيقول: "وأما منظوماته الفائقة وأدبياته الرائقة فأقول: إن هذا الإمام – أيده الله – وإن كان في سائر العلوم علما تأتم الهداة به فلا كفن الأدب، فهو الروض الذي لا تزال طيور أفكاره صادحة على أيكه، وشموس إحسانه بازغة من فلكه ... فهو – أيده الله – أخذ من شرف الشعر باسمه، وتصرف على حكمه، آية في قرضه ونقده، وحله وعقده، حسن الاختراع، لطيف التوليد ..." . (7)

وكما كانت له مشاركة في نظم الشعر وتوليد المعاني، فقد كانت له مشاركة في التأليف، من ذلك كتابه في "علم السياسة " وفي "الأدعية المأثورة" (8)، و"ديوان لأبي العباس أحمد" ، جمع فيه شعراء أهل البيت النبوي، أتى فيه على أزيد من ألف ترجمة" (9).

بيعته وخلافته:

بويع له بالخلافة سنة 986 هـ إثر الانتصار الكبير الذي حققه الجيش المغربي بقيادته وقيادة أخيه السلطان عبد الملك على النصارى الذين ساندوا المتوكل على الله في معركة "وادي المخازن" أو معركة "الملوك الثلاثة" كما هو معروف، وبموت عبد الله بويع السلطان أحمد المنصور ملكا للمغرب، وقد " اجتمع عليها – أي البيعة – من حضر هناك من أهل الحل والعقد، ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك، ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جددت له البيعة بها، ووافق عليها من لم يحضرها يوم "وادي المخازن"، ثم بعث إلى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه، فأذعن الكل للطاعة، وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة". (10)

لقد عرف المغرب في عهد المنصور ازدهارا اقتصاديا كبيرا وعمرانيا وأدبيا، فأصبح محط أنظار الدول المختلفة، تسعى إلى عقد الصلات بينها وبينه، وإلى تبادل الوفود والزيارات، وقد أسهبت المصادر التاريخية العربية والأجنبية في

الحديث عن هذه الصلات، وعن مكانة المنصور السعدي كحاكم سياسي ذي نفوذ قوي وكبير. (11)

وقد امتدت فترة حكمه من سنة 986 هـ إلى أن كانت وفاته بفاس 1012 هـ، فقيل إنه مات مسموما من طرف ولده زيدان بإشارة من أمه ليستخلص الحكم لنفسه، وقيل: إنه مات بالوباء الذي انتشر بالمغرب في تلك السنة، فدفن أول الأمر بفاس، ثم نقل جثمانه إلى مراكش حيث دفن في قبور الأشراف السعديين، وقد نقش على رخامة قبره: (12)

هـذا ضريـح مـن غـدت	به المعالي تفتخر
أحمد المنصور اللوا	لكل مجد مبتكر
يـا رحمــة الله أسـرعــي	بكل نعمى تستمر
وباكري الرمس بما	ء من رضاه منهمر
وطيبي ثراه من	ند كذكره العطر
وافق تاريخ الوفا	ة دون تفنيد ذكر

مقعد صدق داره　　　　عند مليك مقتدر

مصادر شعره:

لا شك أن الحديث عن الخليفة أبي العباس أحمد المنصور متشعب المسالك، متنوع المشارب، في السياسة والاقتصاد والعمران والاجتماع وغير ذلك، وطبيعة الموضوع الذي أريد علاجه تختص بالجانب الأدبي في شخصية الخليفة المنصور، وبإسهامه في ميدان الشعر كشاعر مبدع يعبر عن خلجات النفس، وعن تدفق الشعور، يساجل الشعراء في مجالسه كواحد منهم، يبدي ويعيد بآرائه في الموضوع، ويبيح لنفسه كشاعر ما لا يبيحه لها كخليفة حاكم في الأوقات التي كان ينصرف فيها إلى قول الشعر، وإلى مشاركة غيره من الشعراء في قدح الزناد بما تجود به قريحته.

ولم يكتف المنصور بكونه شاعرا متفوقا، بل كان ناقدا ذا حس مرهف وذوق رفيع، فهو معجب بشعر المتنبي يحفظه عن ظهر قلب، بل إنه يأمر شاعره عبد العزيز الفشتالي بترتيب ديوان المتنبي على طريق المغاربة، ذلك أنه "نظر إلى هذا الديوان نظرة مشفق على بضاعته، وغيور على صناعته، فرأى- أيده الله – عدم ترتيبه، وإغفال تبويبه، وخلو جمعه من ضابط، وعرو موصوله من صلة ورابط، نقصا في إحسانه، وحصرا في لسانه... وعلى أن بعض الفضلاء وإن كان قد فوق إلى هذا الغرض نباله، وأشرع إليه نصاله، وجرى في ترتيبه على حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قلادة جمعه ما التقطه من فرائده وشذوره، فقل أن وجد في ترتيبه لشعره المشهور، مستقصيا في جمعه لنظمه الذي صححه أئمة المنظوم والمنشور، إذ كان اقتصر على ما صحت عنده روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وقفت في مجال الدراية رايته... فآثر – أيده الله – الإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله الساهي، بأن أمر – خلد الله سلطانه، ومهد أوطانه – باستقصاء ما اشتملت عليه خزائنه الحافلة العلمية، واحتوت عليه من نسخ هذا الديوان العتيقة المنسوبة المروية، وأشار بتحرير نسخة منها تشتمل على نظمه المروي المجاز، وشعره الذي ليس في صحة روايته احتمال ولا مجاز، وأمر – أيده

الله ونصره، وأسعد أصالة وبكرة - بترتيبها على حروف المعجم على طريقة المغاربة واصطلاحهم، والجري في وضعها على بيانهم وإيضاحهم، ليرتفع بهذا التحرير العجيب عن شعره المروي الشك والارتياب، ويسهل بهذا الترتيب اهتداء المطالع إلى محل الحاجة من الكتاب". (13)

فعناية المنصور بترتيب "ديوان المتنبي" تدل على نحو جديد اتبعه في دراسة هذا الشعر وتوثيقه والتدقيق فيه، ومن ثم فقد امتاز عمل عبد العزيز الفشتالي بأنه قام بـ:

- ترتيب"ديوان المتنبي" على حروف المعجم حسب ترتيب المغاربة.
- تحقيق الأشعار اعتمادا على نسخ أصلية كثيرة كانت متوفرة عند المنصور السعدي.
- تقديم بعض القصائد بالإشارة إلى مناسباتها.
- إغناء الترتيب بطرر وحواش تؤكد تفوق المغاربة في اللغة والنحو والأدب، وكلها تشير إلى سرقات واردة عند المتنبي، أو إلى أخطاء لغوية أو بلاغية وقع فيها وكان عليه أن يتجنبها.

– وأهم ما يتميز به هذا الترتيب هو توقيفات المنصور بخطه عند أبيات نالت إعجابه أو استرعت اهتمامه في الغزل أو الحكمة أو الوصف أو في غيرها من المواضيع، فالتنبيه إلى هذه الاختيارات في هذا الترتيب المصنوع يؤكد امتيازه بذوق فني رفيع كأديب ناقد في عصره، ومن توقيفاته قول المتنبي: (14)

إن القتيل مضرجا بدموعه   مثل القتيل مضرجا بدمائه

او قوله:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا   لمن بات في نعمائه يتقلب

أو قوله:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

وقبل الحديث عن موضوعات شعر الخليفة المنصور يجمل بنا أن نشير إلى مصادر شعره وأهمها:

"مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا" للشاعر المؤرخ عبد العزيز الفشتالي: (15)

في هذا الكتاب نجد مجموعة شعرية هامة للخليفة المنصور في المناسبات المختلفة، ينقل بعضها الفشتالي من تقييد بخط يد الخليفة حيث يقول: "وقد

رأيت أن أعول في إثبات ماله من ذلك وترتيبه على تقييد بخطه – أيده الله – تكلم فيه على بعض مآخذه، والموازنة بين كلام القوم وكلامه". (16)

المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور: لأحمد بن القاضي: (17)

وهو يضم أشعاره ومقطعاته التي كان ابن القاضي يثبتها حسب مناسباتها خاصة وأنه خصص هذا الكتاب للتاريخ لحياة الخليفة ولأعماله ومنجزاته .. كما توجد بعض منتخباته الشعرية أيضا في مؤلفي ابن القاضي " درة الحجال في غرة أسماء الرجال"، (18) و"جذوة الاقتباس ". (19)

روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: (20) لأحمد المقري:

وهو يتضمن أشعارا سعدية كثيرة تتصدرها أشعار الخليفة المنصور ومقطعاته.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: للمقري (21)

وفيه اعتنى المؤلف خديم الحضرة السلطانية المراكشية أبي العباس أحمد المنصور برواية أشعاره وموشحاته، خاصة في الجزء السابع من هذا الكتاب.

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: لليفرني (2)

وهو كتاب في تاريخ السعديين إلى عهد المولى إسماعيل، وفيه يورد المؤلف مجموعة من مقطعات الخليفة المنصور وتعليقاته المختلفة عليها، مع شرحه للغامض من تورياتها ومعمياتها، ويشير اليفرني في كثير من الأحيان إلى أنه ينقل عن الفشتالي في كتابه "المناهل" يقول:"وأما نظمه فالسحر الحلال، وأرق من الماء الزلال، لتكامل محاسنه وتكاثر بدائعه، وها أنا أثبت منه قطعا، وأجلو عليك منه لمعا". (23)

أما المصادر الشرقية، فقد اهتم بعضها بإنتاج المغاربة في القرن الحادي عشر، وأثبتت منه نماذج متنوعة لشعراء العصر السعدي، من هذه المصادر كتاب: "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" للمحبي، "وسلافة العصر" لابن معصوم، و"ريحانة الألبا" للخفاجي، وغيرها من المؤلفات.

موضوعات شعره:

مما يؤسف له أننا لم نعثر على قصائد مطولة للملك الشاعر أحمد المنصور، وإنما هي مقطوعات ونتف تتوزع بين مواضيع وأغراض دأب على النظم فيها كغيره من الشعراء، ويرى المقري في "روضة الآس" أن السبب في ذلك يعود إلى أن "الملوك لا تأتي بالكثير من النظم، وإنما تأتي بالقدر الذي يدل على سلامة طبعها فقط". (24)

أما موضوعات شعره، فتدور حول المحاور الآتية:

الغزل – الوصف – الموشحات – المساجلات.

الغزل: من الأغراض الشعرية التي برع فيها الخليفة المنصور من خلال مقطعات كثيرة، فهو يبدي شوقه، ويكشف عن حرقته ولواعجه في مثل قوله: (25)

تبدي وزند الشوق تقدحه النوى فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم

وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا على كبد حرى وقلب يقسم

ولولا ثواه بالحشا لأهنتها ولكنها تعزى إليه فتكرم

فاعجب لآساد الشرى كيف تحجم على أنه ظبي الكناس ويقدم

وكذلك في مثل قوله: (26)

لما نأى المحبوب رق لي الدجى وأتى يعللني برعي كواكبه

أولى غراب البين ودك ياحشا والبين مزني الصباح كواكبه

والحديث عن الشوق واللوعة يعد من المحاور الأساسية في الغزل، فكثيرا ما يكتوي الشاعر بنار الهجر، ويشعر بمرارة الضياع، فتملأ قلبه الحسرة، ويهيم في عالمه الخاص مكتويا بهذا الهجر، شاكيا هذا البعد، مؤملا في الوصال، بلغة رصينة كثيرا ما يحملها ألوانا بلاغية لتأكيد معاناته النفسية في هذا الشعر.

وكغيره من الشعراء يصف جمال حبيبته، فيتحدث عن قدها، وعن مبسمها، مستعيرا صوره الشعرية الدقيقة من مظاهر الطبيعة، فهو يقول: (27)

لا وطرف علم السيف فقد في قوام كقنا الخط نهد

ووميض لاح لما بسمت فأرتنا منه درا أو برد

ما هلال الأفق إلا حاسد منك حسنا وعلاء وغيد

ولذا عاش قليلا ناحلا كيف لا يفنى نحولا من حسد؟

إنه يستمد صفات حبيبته من القاموس الشعري المتداول، في تشبيهات وصوره، وفي أخيلته وصفاته، فقوام الحبيبة كقنا الخط، وابتسامتها كوميض البرق إلى غير ذلك...

والخليفة المنصور لا يتحرج من ذكر أسماء محبوباته، فهو يقول في إحداهن واسمها نسيم: (28)

يا هلالا طلوعه بين حجبي وغزالا كناسه بين جنبي

إن سهما رميت غادر هما لو تناهى ما شك آخر قلبي

ويقول في أخرى اسمها سلاف: (29)

وأحور وسنان الجفون كأنما سقى لحظه من ريق فيه بقرقف

نضى صارما لا فل صارم لحظه تزايد منه منذ سل تلاهف

وتكشف غزليات الخليفة المنصور عن إعجابه بالجمال، وعن رغبته في التمتع بهذا الجمال في مثل قوله: (30)

على جدول غطت علي بشعرها لئلا يرى الشمس الرقيبة لي طرف

فبت أرى في جدولي بدر وجهها غريقا ونقطات العبير به كلف

الوصف:

وهو من أكثر الفنون الشعرية شيوعا، ومن أخصبها مادة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، فالشاعر العربي وصف الطبيعة الحية والجامدة، ووصف المرأة، ووصف بعض العادات والتقاليد، دون أن ينسى الفضائل الخلقية ليتحدث عنها مادحا كل متحل ومتصف بها.

وهكذا، فإن فن الوصف قد عرف ازدهارا كبيرا في العصر السعدي، فهو امتداد للظاهرة من جهة ، وهو تطور لها من جهة أخرى، حيث تنافس الشعراء

السعديون في وصف المآثر العمرانية وأشهرها "قصر البديع" بمراكش، وأصبح الوصف عندهم غرضا مستقلا يكشفون فيه عن طاقاتهم الإبداعية ، ويصورون فيه ما آلت إليه الحضارة المغربية من حيث العمران والتشييد في قصائد مطولة أو في مقطوعات متوسطة.

يقول الخليفة المنصور في وصف نهر المسرة بقصر البديع: (31)

نهر المسرة إن تسل	منه الرحيق الأطيب
الطير فيها تنتقل	والغصن فيها يشرب

ويقول في وصف رقيب ملازم: (32)

رقيبي كأن الأرض مرآة شخصه	فأنى تولى الطرف مني يراه

مقيم بوجه الوصل حتى أنما وصالي هلال، والسواد صداه

ويعنى المقري في مؤلفه" روضة الآس" بنقل مقطعات المنصور الشعرية، معلقا عليها في بعض الأحيان، من ذلك قوله: (33) " وقال أيده الله، ومن الأبيات المثلثة قولي: وقد قطفت وردة من روض المسرة في زمن النرجس:

وافى بها البستــان صنوك وردة يقضي بها لما مطلت وعودا

أهدى البهار محاجـرا وأتى بها في وقته كيما تكون خدودا

فبعثتها مرتادة بنسيمها تثني من الروض النضير قدودا

وكان الخليفة المنصور معجبا بقصره البديع وبرياضه ومنتزهاته، فنجده يصف في بيتين شعريين روضي المسرة والمشتهى في قوله: (35)

بستان حسنك أينعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك بالمسرة ينثني يا حسنه رمانة للمشتهى

ويذيل المقري بيتي المنصور بقوله: "وقعت التورية في كلامه – نصره الله – بالبديع والمسرة والمشتهى، وهذه الثلاثة من مآثره الملوكية التي لم يخترع مثلها". (35)

وكثيرا ما يميل الخليفة الشاعر في أشعاره الوصفية إلى التورية والجناس، في عبارات رقيقة وصور بديعة تنبئ عن عشق الجمال، سواء كان طبيعيا أو مصنوعا، وعن حسن توظيفه لصوره وأخيلته بطريقة فنية متميزة، وإن في مقطوعات قصيرة.

الموشحات:

لعل ظهور فن الموشحات كان ثورة على القصيدة العربية التقليدية في بنائها وموضوعها، تطور في فترة قصيرة بعد أن ظهر وشاع في بلاد الأندلس، وتعددت تعريفات هذا الفن الذي كان ظهوره تلبية لظروف سياسية واجتماعية معينة، فهو كما يحدد في تعريفه الدكتور عباس الجراري: " مصطلح على فن مستحدث من فنون الشعر لا يتقيد بالشكل التقليدي الذي التزمته القصيدة العربية لبنائها العضوي، يحاول التحرر منه إلى شكل جديد يعتمد تقسيم الهيكل إلى أجزاء يتنوع فيها الوزن، وتتعدد القافية.

والملاحظ أن هذا الفن انتشر بشكل واسع في بلاد الشرق، وفي بلاد المغرب الإسلامي، وأصبح الشعراء يكثرون من النظم في أغراض مختلفة، بل أصبح بعضهم يتبارى في ذلك، مظهرا براعته وتفوقه على غيره خاصة في الوصف والغزل والخمريات، ومن أشهر الوشاحين الأعمى التطيلي، وابن بقي، وابن باجة وغيرهم..."

أما في المغرب، فقد انصرف الشعراء إلى النظم في هذا القالب الشعري الجديد، كما تشير إلى ذلك كثير من المصادر التاريخية، غير أن هذه الموشحات قد ضاعت كما ضاعت مصادرها، ولا شك أن الشاعر المجيد عبد العزيز الفشتالي قد لاحظ ذلك، إضافة إلى إهمال كثير من المصادر التاريخية التي كانت تهتم بجمع الموشحات المغربية، خاصة في كتاب ابن الخطيب "جيش التوشيح" الذي يضم خمسا وستين ومائة موشحة لستة عشر شاعرا ليس من بينهم مغربي واحد، فعمل الفشتالي على تأليف كتاب جعله تذييلا لكتاب ابن الخطيب وسماه:"مدد الجيش"، (37) جمع فيه أكثر من ثلاثمائة موشح لشعراء مغاربة، ومع الأسف الشديد فإن ضياع هذا الكتاب يعد خسارة كبرى لإنتاج شعراء مغاربة برزوا في فن التوشيح، وحاول الفشتالي من خلال أشعارهم أن يبرز براعتهم وتميزهم في هذا الفن إلى جانب شعراء الأندلس والمغرب، ونجد في "روضة الآس" و"نفح الطيب" للمقري بعض النماذج القليلة في هذا الفن خاصة في العصر السعدي، من بين هذه الموشحات موشحتان للخليفة المنصور في الغزل: (38)

يقول في الموشحة الأولى:

ريان من ماء الصبا	أهيف ممتلي البرد
كالغصـن هزتـه الصبـا	فوق الربى الشهب
قـد قلـت لما أن سبـا	بحسنه لبي
من عينـه سـل ظبـي	وغمدها قلبي
أسرني ماضي الشبا	مرنح القد

في هذه الموشحة يتحدث عن معاناته في تجربة حبه، وعن أمله في وصال حبيبه، وطمعه في قلبه، متحسرا في نفس الوقت على هذه الجفوة والقطيعة في قوله:

وقاطعنـي ظلمـا ومـن	مقره صدري

ثم قوله في مقطع آخر:

قلت له وقد نهد	وجد في حربي
وغلـب الظبـــي الأسـد	وفاز بالغلب

المساجلات:

من المؤكد أن المجالس الأدبية التي كانت تعقد من حين لآخر في بلاط الخليفة المنصور للمناظرة والمناقشة، والاستماع إلى الأشعار الجديدة في المناسبات أو غيرها، قد فتحت بابا جديدا في الأدب، أو بالأحرى أسهمت في

توسيع مجاله ودائرته، خاصة وأننا نعرف بأن العرب منذ القديم كانوا يهتمون بمجالسهم وبشعرائهم ينصتون إليهم، ويفاضلون بينهم باعتبارالشاعر لسان القبيلة المدافع عنها، كما أن المغاربة منذ عهود المرابطين قد عرفوا بميلهم إلى عقد هذه المجالس العلمية الأدبية، يترأسها الخليفة أو السلطان، ويستدعي لها العلماء والشعراء من كثير من الجهات، فكان لها الدور الحاسم في ازدهار الأدب وفي تنافس الشعراء والعلماء على الإجادة كل في ميدانه ...

نتج عن هذه المجالس ظهور فن أدبي جديد هو فن المساجلات الشعرية، وفيه يحاول كل شاعر إظهار براعته في النظم، متباريا مع غيره في أكبر مجلس يعقد بحضرة الخليفة المنصور باعتباره شاعرا مبرزا، يحتكمون إليه، ويثقون بذوقه الفني الرفيع عند إصدار الأحكام، ولم تكن لهذه المجالس أوقات خاصة، بل كانت تعقد في كل وقت، في الإقامة أو السفر، أو في الخرجات التي كانت مناسبة للتسلية والراحة، ومن أشعار هذه المجالس ما قاله الخليفة المنصور واصفا تمرا صنع له بلا نوى: (39)

لله تمر طيب — وافى على البشرى انطوى

يا حسنه مجتمعا — يحلو لنا بلا نوى

وقد عارض البيتين الشاعر عبد العزيز الفشتالي بقوله:

أكرم به تمرا حوى — طيبا على النشر طوى

أهدى الهنا لأنه — تمر أتى بلا نوى

وعارضها كذلك الشاعر المسفيوي قائلا:

يا حسن تمر جال في — ماء نعيم وارتوى

فاعجب له قد كان عنـ ه إلفه بلا نوى

ويشارك الهوزالي في المعارضة بقوله:

ناهيك من تمر علا	طعما وطيبا وروا
أكرم به كأنما	أخلاق موليه حوى
تواصلت أهواؤه	حتى تحاماه بالنوى

لقد كان المنصور كشاعر يبعث في شعراء مجلسه نفسا جديدا متوقدا للمعارضة والمتابعة، سواء على مستوى المعاني أو على مستوى الأساليب، بما كان ينظمه من شعر، وإن لم يتجاوز البيتين في أغلب الأحيان، بل لقد كان شعراؤه يتنافسون في معارضة ما يقول، الشيء الذي جعل الفشتالي شاعره ومؤرخه يعلق

على ذلك، منوها بجودة شعر المنصور، ومن ذلك ما قاله من شعر في الاعتذار عن ترك الوداع، وقد قدم لذلك الفشتالي قائلا في "مناهل الصفا" : (40)

" وفي مقامه – أيده الله – بمحلته السعدية على أغمات، صدرت عن جلاله العالي أبيات من نظمه البارع في الاعتذار عن ترك الوداع، وهي هذه:

تبدى وزند الشوق يقدحه النوى	فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم
وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا	على كبد حرى وقلب يقسم
ولولا ثواه في الحشا لأهنتها	ولكنها تعزى إليه فتكرم
فاعجب لآساد الشرى كيف تحجم	على أنه ظبي الكناس ويقدم

فانثال عليها من بالمحلة من كتاب حضرته وشعراء دولته انثيال الهيم على الورد، والنحل على الشهد، وكان أول الحلبة في ذلك الميدان، وأحرزهم لراية

السبق يوم الرهان، شيخنا العالم العلامة مفتي الإسلام، وعلم الأعلام، أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف أبقاه الله، فقال وأجاد في المقال:

واعجب من ذا طور صبري عندما تجلى فدك والجنان متيم

تحمل مني القلب في شرك الهوى وحل اصطباري وهو من قبل مبرم

وغادرني مضنــى حليف صبابة وقدما بتعذيبي خليق ومغرم

فلله عينا من رآنا وبيننا رسائل شوق لا تبين وتكتم

وقد عارض هذه الأبيات الغزلية الرقيقة، التي تدل على حرقة الشاعر، ولوعته لفراق حبيبه في ساعة وداع قاسية كثير من الشعراء، منهم الهوزالي، وعبد العزيز الفشتالي، والمسفيوي، وأبو عبد الله الفشتالي، وغيرهم، ويظهر أن المنصور كان يشجع شعراء مجلسه على معارضة أبياته وينتقدهم، أو يبدي

إعجابه بهم في توليد معانيهم واختيار أساليبهم، منبها إلى أوجه الخطأ لتصحيحه، مما يؤكد فعلا مشاركته الفعلية في السجال والمناقشة والمطارحة.

خصائص شعره:

قد يكون من المتعذر الوقوف على خصائص شعره ومميزاته لأسباب كثيرة، من بينها قلة الأشعار التي توجد بين أيدينا، والتي لا يمكن من خلالها إصدار أحكام عامة على شعره، إضافة إلى أن ما وصلنا من هذه الأشعار عبارة عن مقطوعات في مواضيع ذاتية، كالغزل والوصف والمساجلات المختلفة.

ومهما يكن، فإن لهذه المقطوعات مميزات وخصائص، لعل أبرزها الواقعية والصدق، فكان يصدر في تعبيره عن عواطفه بما يشعر به، معربا عما كان يعانيه فعلا في علاقته مع محبوبته مثلا، أو في علاقته مع شعراء بلاطه.

وتنعكس في أشعاره ثقافته الواسعة، وقد لونت عباراته وأشعاره، فعنايته بالمحسنات البديعية واللفظية واضحة في أشعاره، وكثيرا ما كان يرى فيها قدرة على الإبداع، وتميزا في النظم، بل إنه كان يرى بأن الكلام الخالي من هذه المحسنات، وخوفه من ألا يفهم شعره يلتجئ إلى شرحها وتوضيحها كذيل لها، من ذلك ما نقله المقري في روضته": (41) " وقال – نصره الله – أيضا في اسم آمنة من التعمية أيضا:

من شقائي قنصته وهو خشف	لم أقل، فإن قلت فات فهمت
أملد منه مذ تحلل خصر	وتثنى عن حبه ما عدلت

قال أيده الله: " فقولي أملد أردت الألف بعمل التشبيه، وتحلل خصر منه انتقاد، أردت بالخصر وسط لفظة منه، وتحلله أن ينحل السكون الذي على النون،

وقولي: وتثنى أي الألف من التثنية لا التثني، فتم الاسم بحركاته وعدده" . "انتهى تفسيره أيده الله بمنه" .

فالمنصور إذن يحاول شرح شعره، بتوضيح الغامض فيه كي يقربه من الأذهان بالصورة التي كان يريدها، والتي رسمها في ذهنه لموضوعه.

ومن مميزات شعره، أنه كان نموذجا يحتذى، فشعراء عصره في مساجلاته له، يحاولون الاتكاء على معانيه وأساليبه كما سبق، ويحاولون استلهام موضوعاته وأفكاره في أشعارهم، مؤكدين تفوقه وتميزه، وفي ذلك يقول المقري:

وأما نظمه – نصره الله – فالغاية العليا، وستقف من ذلك على ما يسحر الألباب"، (42) أما سلامة طبعه وحسن انتقاده، فقد تحدث عنهما وزيره وشاعره الفشتالي قائلا: "وتجده أيده الله أيضا – إذا امتدح بنظم، أو رفع إليه الشاعر كلمة، يتدبر معانيها، ويعرض على محك اختباره مبانيها، فإذا وجد لفظة ينظر إليها النقد بطرف خفي لخروجها عن سياج التأدب مع الله، ولو وصمة في الدين، تورع عنها، وخرج بالبراءة من عهدتها، وأمر بنبذها، وبإبدالها بأسهل منها، وربما أصلحها على قائلها، إذ كان زمام القول بيده أيده الله، وهذا أمر لا يجاريه في مضماره فرسان هذا الشأن. (43)

وهكذا، وعلاوة على حسن انتقاده ودقته، فإننا نلمس من خلال هذا النص، تشعبه بثقافة دينية إسلامية، فلا يجمل بالشاعر أن يضمن كلامه ما يسئ إلى الدين، ويحرص على ذلك ما أمكن.. وفي مقطوعات المنصور ما يؤكد ذلك فهي — رغم معمياتها — تصدر عن شاعر متشبع بتعاليم الإسلام، وبثقافة إسلامية نربأ به أن يستعمل صيغا وتعابير تقدح في العقيدة أو تشينها.

ويحافظ المنصور على القالب الشعري التقليدي في مقطوعاته، فيميل إلى استعمال البحور العروضية الخليلية: كالطويل والبسيط والرجز والرمل، كما أنه يميل إلى التوسل بالفن المستحدث في الأندلس والمغرب، والذي نال حظوة عند شعراء العدوتين، فاتخذوه قالبا شعريا جديدا لموضوعاتهم المختلفة، يتعلق الأمر بالموشحات، فالمنصور ينظم على غرارها في التعبير عن المواضيع التي لا يريد علاجها، ولا شك أن المنصور برع في هذا الفن، وشجع على التوسل به، غير أن ضياع كتاب عبد العزيز الفشتالي "مدد الجيش" أسهم في ضياع كثير من موشحات المنصور على ما يبدو، والمتبقي من هذه الموشحات موشحتان أوردهما (المقري) في كتابيه "روضة الآس" و"نفح الطيب"، كما أورد له موشحة واحدة، ابن القاضي في كتابه "المنتقى المقصور".

وعموما، فإن الشاعر المنصور يبقى علما من أعلام الشعر في المغرب في عصره وفي غيره من العصور، وواحدا من الملوك المغاربة المتميزين الذين أغنوا الساحة الشعرية بإنتاجاتهم الإبداعية أو الانتقادية، وممن شجعوا الحركة الأدبية، أدبيا وماديا، فتسابق الشعراء في حضرته، وجودوا ما استطاعوا لينالوا رضى الملك الشاعر وتشجيعه..

وتبقى أشعار الخليفة المنصور صورة واضحة لأدب حقبة زمنية متميزة في تاريخ المغرب السياسي والأدبي، وكل ما نأمله مستقبلا أن تكشف الأيام عن المصادر الضائعة التي تضم أشعار الخليفة المنصور وغيره من الشعراء، وخاصة أجزاء كتاب "مناهل الصفا" لنستطيع جمع هذه الأشعار ودراستها دراسة شاملة تتقصى كل النقط والمحاور، وتتدبر كل المعاني والصور، ولا شك أن الرصيد الشعري السعدي هو رصيد هام جدا، لما كان يمثله من حفاظ على اللغة العربية وطابعها، وما كان يمثله من تطور وتجديد في مجال الإبداع الشعري. لقد كان العصر السعدي عصر إشعاع علمي وفكري، انعكست آثاره في كل المجالات، وذلك بفضل عناية ملوكه وأمرائه بالعلم والعلماء، وبمشاركتهم في كثير من الأحيان في تطور الفكر والأدب.

1 – 2 – نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: لليفرني، طبعة حجرية ص: 72.

3 – مخطوط الخزانة الملكية، وقد طبع أخيرا بتحقيق الأستاذ محمد رزوق في جزأين – مطبعة المعارف 1986.

4 – تحقيق عبد الله كنون ص: 17، وانظر الحديث مفصلا عن أخلاقه في نفس المصدر ص: 126.

5 – فهرس المنجور، تحقيق الدكتور محمد حجي، ص: 9.

6 – نقل هذا القول عن الشيخ المنجور أحمد بن القاضي في كتبه "المنتقى المقصور" م.خ. ص: 6.

7 – مناهل الصفا ، ص: 206.

8 – مناهل الصفا: ص: 215-217.

9 – دليل مؤرخ المغرب الأقصى: لابن سودة، ص: 432.

10 – الاستقصا: للناصري ج5، ص: 91.

11 – انظر تفصيل ذلك في كتاب "مناهل الصفا للقشتالي" وفي مخطوط "المنتقى المقصور" لابن القاضي وفي "نزهة الحادي" لليفرني، وفي: **les sources inédites de l'Histoire du Maroc, Première série – Dynastie saadienne**.

12 – نزهة الحادي، ص: 170، الاستقصا، ج5، ص: 185.

13 – مقدمة ترتيب ديوان المتنبي: م.خ.ع.

14 – ترتيب ديوان المتنبي: م.خ.ع.

15 – تحقيق الأستاذ عبد الله كنون، كما قام بتحقيق الجزء الثاني الدكتور عبد الكريم كريم، أما الشاعر عبد العزيز الفشتالي فقد قمت بجمع ديوانه وتحقيقه، وصدر عن مطبعة المعارف سنة 1986.

16 – مناهل الصفا: تحقيق كنون، ص: 207.

17 – مخطوط الخزانة الملكية بالرباط، وقد صدر أخيرا في جزأين بتحقيق الأستاذ رزوق.

18 – في ثلاثة أجزاء بتحقيق الأستاذ الأحمدي أبو النور.

19 – في جزأين بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور.

20 – بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، صدرت في طبعتين، الأولى سنة 1964، والثانية 1983.

21 – تحقيق الدكتور إحسان عباس، في ثمانية أجزاء.

22 – طبعة حجرية، ص: 123.

23 – نزهة الحادي، ص: 123، ويظهر أن النص المنقول عنه مفقود.

24 – روضة الآس، ط1 ص: 36

25 – روضة الآس، ط1 ص: 52.

26 – روضة الآس، ط1 ص: 38.

27 – روضة الآس، ط1 ص: 43.

28–29– مناهل الصفا: للفشتالي، تحقيق: كنون، ص: 208.

30 – مناهل الصفا للفشتالي، تحقيق كنون ص: 208.

31 – روضة الآس، ط1 ص: 46.

32 – روضة الآس، ص: 36.

33 – روضة الآس، ص: 42، انظر كذلك "ريحانة اللبا" 1/ 293.

34–35– روضة الآس، ص: 46.

36 – موشحات مغربية، ص: 13.

37 – انظر الفصل الخاص بالحديث عن "مدد الجيش" في كتابنا "شعر عبد العزيز الفشتالي"، جمع وتحقيق ودراسة، الطبعة الأولى 1986.

38 – انظر " روضة الآس" ص: 56 و57، "نفح الطيب"ج: 7، ص: 72-73، "المنتقى المقصور"، خ.م.ص: 225.

39 - روضة الآس، ص: 47و48.

40 – ص: 130، روضة الآس، ص: 52و54.

41- روضة الآس، ص: 40، وانظر كذلك شروحه وتعليقاته على أشعاره في نفس الكتاب ص: 41- 42.

42 – روضة الآس: ص: 36.

43 – مناهل الصفا، ص: 137.

الديوان:

أقول أن هذا الإمام أيده الله وان كان في سائر العلوم علما تأتم الهدات به فلا كفن الأدب فهو الروض الذي لاتزال طيور أفكاره صادحة على أريكة وشموس إحسانه بازغة من فلكه وروحه الزكية سارحة في رياضه كارعة في حياضه لاتكاد دووابنه تفارق راحته ولايروي في غير واديه أنسه وراحته حتى تملأ من حفظ اللسان وتضلع وأشرق من ثنيات الانسان وطلع وجلا فكره كل مخدرة تستلب قلوب البرايا لاجرم هو ابن جلا وطلاع الثنايا فهو أيده الله أخذ من شرف الشعر بإسمه وتعرف على حكمه آية في قرظه ونقده وحله وعقده حسن الاختراع لطيف التوليد غريب المنزع قد نازع راية السبق في هذا المضمار فحول الخلفاء والأمراء والأبناء من قومه وأسرته من آل علي والعباس ومروان كالرشيد بن المهدي والواثق ابن المعتصم وعبد الله بن المعتز من الشيعة الخلفاء بمصر ولئن تقدموه إحسانا بل ربما كان أسلس عندنا وأحد لسانا وسنانا وألطف إشارة وأجزل عبارة بألفاظ لو مزجت البحر لاعذبته ومعان لو واجهت دجى الليل لأزاحته وسيشهد لما ذكرت شاهد عدل مما أجريته من كلامه الذي يعد من السحر وله الانفراد بالبراعة في علم المعمى من فنون الشعر ومعرفة طرقه وأسمائه وألقابه وهي طريق يدق على الخواطر سلوكها ولا يهتدي إليها من العقول إلا ملوكها وقد رأيت أن أعول في

إثبات ما له من ذلك أيده الله وترتيبه على تقييد شريف بخطه الكريم وقد تكلم فيه على بعض مآخذه والموازنة بين كلام القوم وكلامه إذا انتهى إلى بيت من أبيات المعمى شرع بتفسيره لأهل الأدب بابه حتى يطلعوا على ما اشتمل عليه من المحاسن ويعلوا بذلك فضل أهل البيت وقد قسم أيده الله المنظوم المرتب إلى الأبيات المزدوجة والمثلثة والمربعة والمقطوع ونصه:

قال أيده الله: من أوليات شعري ما قلت في وردة مقلوبة بين يدي محبوبة:

وردة شفعت لي عند مرتهني وافت وقد سجدت للفاتر الحدق

كأن خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من عنبر عبق

ومن يعلم ذلك الخال العنبري الذي يوضع على الخدود يعلم عظم هذا التشبيه.

وقال: ولي في وصف رقيب ملازم:

رقيبي كأن الأرض شخصه فأين تولى الطرف مني يراه

مقيم بوجه الوصل حتى كأنما وصالي هلال والسواد صداه

وله أيده الله ويغنى به من رمل الماية:

أيا روضة ضنت علي بزهرها   ولم يتلق ناظر أي سناك

أبيحي لنفسي من شذاك بقاءها   إذا فت طرفي على أنفي يراك

وهذا مأخود من قول الشريف الرضي:

عرضن بي ركب الحجاز وسله   فمتى عهده بأكناف جمع

واستمل من حديث من سكن الخيف   ولا تكتبنه إلا بدمعي

فاتني أن أرى الديار بطرفي   فلعلي أرى الديار بسمعي

وهو أخذ من قول بشار قوله:

قالوا بمن لاترى تهذي فقلت لهم   الأذن كالعين توفي القلب ما كنا

وأنت إذا تأملت هذا وجدتني أقنع بالقليل من الرضي وبشار ، وذلك أن يحدثهما يصف لكل منهما حبيبه وأين هو؟ وبأي حاة تركه؟ فيتعلل بذلك ، وربما شفى بذلك غليله، وقد قيل:

يكفي المحب من الحبيب قليله ويتوب عن شخص الحبيب خياله

إن لم يكنه فإنه تمثيله وما قنعت به أنا لايغني فتيلا

وربما ترك الصب عليلا وما هو إلا كما قال الأرجاني:

سأل الصدى عنه وأصغى للصدى كيما يقول فقال مثل مقاله

ناداه أين محط رحاله؟ فأجاب أين ترى محط رحاله

ولقد علمت أن الشم إنما يحصل بواسطة تكييف الهواء المتصل بالخيشوم بتكييف الرائحة لا بطريق نقل الرائحة من ذي الرائحة إلى الهواء ، للإمتناع انتقال الأعراض.

وقولي : "أبيحي لنفسي بقائها" التي هي الرائحة ولا بقاء لها بغيره ليس

كقول الرضي: ولا تكتباه إلا بدمعي.

وله أيضا من التورية وهو من أوليات شعره:

شادن نم عليه نفحة ما خلاصي من سهام كامنه

احلال منه أني خايف وغزالي بعد خوفي أمنه

وله أيده الله من المزدوج أيضا :

على جدول غطت علي بشعرها لئلا يرى الشمس الرقيبة لي طرف

فبت أرى في جدولي بدر وجهها غريقا ونقطات العبير به كلف

وقال أيده الله ومنه أيضا :

طرقت حماه والأسود توارد به فتولى الظبي وهو بعيد

فعلمت آساد الشرى كيف تقدم وعلم غزلان النقا كيف تشرد

وله أيده الله من الجناس المركب، ويغنى به، من الحسين:

لما نأى المحبوب رق لي الدجى وأتى يعللني برعي كواكبه

أولى غراب البين ودك ياحشا والبين مزني الصباح كواكبه

قال أيده الله: فقولي: "إن سهما" تتصيص ، و"غادرهما" إسقاط، وهو إشارة لإسقاط "هما" من هذا الإسم.

وقولي: "لوتناهى" : انتقاد ، والانتقاد: هو إشارة إلى بعض أجزاء الكلمة ، ليؤخذ جزء الاسم المطلق ، كأن يذكر الوجه والصدر ، والتاج، والصافي، والرأس، ويريد به الحرف الأول من الكلمة ، أو يذكر الآخر ، والمنتهى، والختام، ويريد به آخر الكلمة ، فقولي "لو تناهى" معناه: أنه أخذ لفظة هم غير متناه ببقية الميم منها.

وقولي "ماشك آخر قلبي" : انتقاد أيضا ، وأرادت بآخر قلبي: الياء ، ويسمى، أيضا "التسمية" وهو أن تذكر الاسم وتريد المسمى ، أو تذكر المسمى وتريد الاسم ، وقد تم الاسم.

واعلم أنهم لم يشترطوا في استخراج الكلمة بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها ، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة هيئتها الخاصة ، فإذا وقع فمن المحسنات ويسمى العمل التذييلي. انتهى كلامه ، أيده الله ، على البيتين.

وقد ذيلهما القائد الأجل أبو الحسن الشيظمي بقوله:

وأغار اذ حث الظلام جناحه ليكن من الف اللقا بغياهبه

فانقض من أفق القطيعة وانثنا ومشا غراب الدجن بين مخالبه

وغدا به شمل الوصال مصرما وعدا على قلب المشوق فطار به

وكذلك ماحمد اللقاء متيم أرخا عليه الليل ستر غياهبه

الا وقد كشر الظلام لوجهه وأبان عن أنيابه ونوائبه

لايحمد الصب الصباح لأنه كالشيب يفتضح الصبا بمناقبه

فالليل لون شبابه وسواده منه يويد القلب فاقض لذلك به

وله أيضا أيده الله في إسم "غزال"، وهو مما جمع بين تعمتين ولغز:

وأملد مطوي الحشا زال ردفه فلا خصر إلا أن تصورته وهما

فنصف اسمه يرمي القلوب وعكسه بقي أبدا أذن المحب به صما

وكتب عليه ما صورته: فقولي: "أملد" أردت به بعمل الترادف غصن ، ومطوي الحشا انتقاد ، و"زال ردفه" : قضيت به غرضين: أزلت به النون بعمل الإسقاط الباقي من "غصن" بعد طي الصاد التي بوسطه. وأثبته –أعني زال- في موضعها: أي النون من غصن ، والحال أن الصاد محذوفة ، وذلك بعمل الانتقاد ، وأوضحت ذلك بقولي "فلا خصر" . وإن كنت لا أحتاج إليه ، لئلا يكون في البيت شيء خارج عن التعمية. انتهى تفسيره لها، أيده الله بمنه.

قلت: فتأمل هذه القريحة الوقادة ، التي أضحت جميع الأغراض لها منقادة ، وأعجب لهذا الغوص الذي غاص هذا الإمام، فوالله ما رأيت مثل هذا قط لملك أو سوقة ولو أوتي بالبراعة في زمام ، ويعني نصره الله بقوله: "بنصف اسمه يرمي

القلوب غزال" ... غز ، لأنه نصف نصف غزال ، ويعني بقوله: "وعكس مابقي اذن المحب به صماء... لفظة "لا" لأنها مقلوب مابقي وهو "ال" .

وله أيضا في إسم "سلاف" :

وأحور وسنان الجفون سقى لحظه من ريق فيه بقرقف

نضى صارما لافل صارم لحظه تزايد منه سل تلاهف

قال أبقاه الله تعالى: فقولي: "تلاه في" من طريق التعمية   ، وفي العمل التذييلي، وهو أن يأتي بالكلمة بحركاتها وسكناتها ، أو هو المحسنات كما سبق.

وله أيده الله في إسم "آمنة" من التعمية أيضا :

من شقائي قنصته وهو خشف لم أقل فإن قلت فات فهمت

أملد منه تحلل خصر وتثنى عن حبه ما عدلت

وكتب عليه ماصورته: قولي: "أملد" أردت الألف بعمل التشبيه ، و "تحلل خصر منه" : انتقاد : أردت بالخصر وسط لفظة منه و "وتحلله" أي ينحل السكون الذي على النون.

وقولي: وتثني أي الألف من التثنية لا التثني فتم الاسم بحركاته وعدده انتهى تفسيره أيده الله.

وله أيد الله نصره بمنه: ولهما حكاية ، وذلك لأنه كان أيده الله لابسا منصورية من الملف الذي يقال له قلب حجر ، والمنصورية نوع من اللباس معروف استخرجه نصره الله ولم يسبق إليه فقيل له منصورية ، كما استخرج أيضا نصره الله أنواعا غير اللباس أضيفت إليه حسبما ذلك مشهور هذين البيتين:

وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم قول الحبيب أنا أنا فيه

قلبي له حجر، فقلت مغالطا للعاذل المؤذى: أنا فيه

قال : أيده الله: وفي هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية: منها جناس التركيب المسمى الملفق ، وحده: بأن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين ، وهذا هو الفرق بين الملفق وبين المركب ، وقل من فرق بينهما ، ومنها الانسجام ، ومنها الاستخدام. وعهدي بالفقيه علي بن منصور الشيظمي تعرض إلى شرحهما بكراسة. والتعمية في هذين البيتين بالعمل الحسابي وهو كثير ، إلا أن هذا العمل أحسبني أبا عذرته إذ لم أره لغيري ، ومادة التعمية فيه أنا أنا فيه ، قلبي له حجر فقولي أنا أنا فيه معناه أن تضرب أنا في ه ، وقولي في ه. نص في الضرب ، ويخرج

من هذا مائتان وستون عدد حروف هيماني وحقك ، وقولي قلبي له حجر بعمل القلب يصير رجح فصار المجموع "هيماني وحقك يرجح" ، وفيه التورية، وهيماني وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشي، فهو من المحسنات أيضا، أعني قوله وحقك، ويصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان ، لأن الافتنان عندهم: أن يفتن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد ، وهذا وقع التضاد فيه في كلمة واحدة ، فظاهر "أنا أنا فيه" يضاد "هيماني" وحقك يرجح الذي يخرج بطريق الحساب ، فافهمه، ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولي للعاذل المؤذي "أنا فيه"، انتهى تفسيره أيده الله للبيتين.

والاستخدام الذي أشار إليه هو في قوله أنا فيه أي في هذا الثوب المسمى بقلب حجر، كما دلت عليه الحكاية، وأما المعنى الثاني لقوله أنا فيه فظاهر.

قلت: وقوله فيه أيده الله: "إلا أن هذا العمل أحسبني أبا عذرته" عنه كما قال، ولم أقف على مثله لأحد من الأدباء ، ويخيل لي أنه لايمكن أن يؤتى بمثله ، فهو كالمعجز في نوعه، ومن له ذوق في صناعة النظم يدرك ماقلناه، والله أعلم.

وقال أيضا :

هدب الجفون بصحن خدك سجلت ولدي الهوى زكتهم عيناك

فقضى الهوى جور السكري زورا شهدت لهم أني على مضناك

قال أيده الله ومن الأبيات المثلثة قولي وقد قطفت وردة من روض المسرة في زمن النرجس:

وافى بها البستان صنوك وردة يقضي بها لما مطلت وعودا

أهدى البهار محاجرا وأتى بها في وقته كيما تكون خدودا

فبعثتها مرتادة بنسيمها تثني من الروض النضير قدودا

وله أيده الله من الأبيات المربعة:

تخالفت منه عيناه إلى سبب كان اتفاقهما فيه على عطب

فحدقة العين تقصيني وتوئسني واللحظ يطعمني فيه ويسخر بي

أشكو نهاي وشوقي فيه كيف يفترقا في أمره وكلا ذا زاد في تعبي

إن أطع ذاك من لي فاتني أربي أو طعت هذا فمن لي فاتني حسبي

قوله نصره الله: كيف يفترقا فيه حذف النون من غير جازم ولا ناصب، وذلك جائز عند بعض العرب كما نص عليه ابن مالك في شرح الكافية وغيره ، قلت وانما نبهت على هذا لأني رأيت بخط رجل من أهل مراكش يقال له ابن يعقوب الأديب على هذا المحل: أنظر كيف حذف النون أمير المومنين من غير موجب مع رسوخ قدمه في علم العربية. ه. ولم يعلم هذا المسكين أن ذلك جائز كما أشرنا إليه، وأن أمير المومنين نصره الله مصيب وهو مصاب.

وقد وقفت على تذييل جماعة من أهل حضرة مولانا نصره الله لهذه القطعة، فمن ذلك قول الرئيس العلم، وزير القلم، أبي فارس الفشتالي أبقاه الله:

فنرجس يرمي بالذبول الى قاضي الهوا في انتهاز فرصة الأدب

وسجل الحكم فيه شاهدان له: ورد الخدود وبرد الثغر والشنب

حتى أتيت خطيب العقل لقنني من القضايا نقيض الحكم والسبب

فصح لي ولسان الحال ينشدني ان طعت هذا فمن لي فاتني حسبي

وقال أيضا أيده الله:

لي حبيب يأتي بكل غريب هو عندي منكر ومعرف

أنا لست الصيرفي ونحوي إنه لي نحا وفي تصرف

فعله في لازم متعد ومزيد مجرد ومضعف

وقال أيضا :

لا وطيف علم السيف فقد في قوام كقنا الخط نهد

ووميض لاح لما بسمت فأرتنا منه درا أو برد

ومنها أيضا :

ما هلال الأفق إلا حاسد منه حسنا وعلاء وغرد

ولذا عاش قليلا ناحلا كيف لا يفنى نحولا من حسد

وقد ضمن إمام الدين الخليلي الوافد على مقام أمير المومنين نصره الله ، هذا البيت الذي قبل الأخير فقال:

قسما بالبيت والركن الذي طاب حجا واستلاما للأبد

ما هلال الأفق إلا حاسد منه حسنا وعلاه وغيد

ولما قال مولانا أمير المومنين هذه الأبيات تنافس كتابه نصره الله وقواده وغيرهم في هذا المعنى ، ومن ذلك قول الكاتب الأجل القائد أحمد بن يحي الهوزالي رحمه الله:

لا وصدغ كدجا اكتنف وشفوظ الخد كواو قد عطف

وجبين أطلع البدر على غصن بان ما عليه من كلف

وغزال غزل الحسن بها رقة الخصر وعب المرتدف

ما برا الأقمار إلا طلعة وسنا ثغر بها لما خطف

فتوخت دورانا ولها من نوع وولوع وشغف

وله أيده الله، ونصره، وخلد ملكه من مقطوع:

من عنبر الشحر أم من مسك دارين فلي ومنه نسيمات الرياحين

مهفهف إن تثنى قلت: مقتضب من قطب نعمان أو من كثب يبرين

ذنبي إليه ولاذنب محبته لأجلها بسهام اللحظ يرميني

ياما أميلحة ظلما رضيت به لو أنه دام منه كان يكفيني

معذبي قد حرمت النوم بعدكم فأنعم بوصل هني غير مفتون

ومضى على ورد ذاك الخد برق فم يعوض الخد من ورد بنسرين

وله أيضا نصره الله ، وأيده ، ورفع ألويته وسدده يروي برياض المسرة ، وبالبديع والمشتهى، كلها له ايده الله تعالى بمنه أبدعها :

بستان حسنك أينعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك بالمسرة ينثنى يا حسن مايسه البديع المشتهى

وقعت التورية في كلامه -نصره الله- بالبديع والمسرة والمشتهى ، وهذه الثلاثة من مآثره الملوكية التي لم يخترع مثلها .

وقال أيده الله في نهر المسرة، وقد تعددت فيه التورية:

نهر المسرة إن تسل منه الرحيق الأطيب

الطير فيها تنتقل والغصن فيها يشرب

فقوله نصره الله: منه الرحيق الأطيب ، يحتمل معنيين قريب وبعيد ، وكذا قوله تنتقل يحتمل معنيين أيضا كونه من النقل وهو طعام الشراب ، أو من الانتقال وهو الحركة ، وكذا والغصن فيها يشرب يحتمل الحقيقة ، ويحتمل التشبيه وإن تأملتها وجدت فيهما غير ماذكرنا .

وقال أيضا زاده الله شرفا إلى شرفه ، وبوأه من النصر أعلا غرفه هذين البيتين ولهما حكاية تأتي بعد إنشادهما :

لقد أتى صارماً صقيلاً ولم يرث ذاك من بعيد

شديد بأس منى بعادي وشدة البأس للحديد

وسببهما أن إبن الأثير الامام المشهور ، ألف كتابا في علم البيان سماه "المثل السائر" فانتقده الشيخ ابن أبي الحديد بكتاب سماه "الفلك الدائر ، على المثل السائر" ، فألف إمام ثالث لا أدري من هو الآن في الانتقاد على ابن أبي الحديد والانتصار لابن الأثير كتابا سماه "طي الفلك الدائر" وأنشد رادا على ابن أبي الحديد :

لقد أتى باردا ثقيلا ولم يرث ذاك من بعيد

فهو كما قد علمت شيء أشهر من كان في الحديد

ولما وقف أمير المومنين نصره الله على هذين البيتين انتصر لابن أبي

الحديد، وقال البيتين المتقدمين ردا على هذا ، ومن له أدنى ذوق عرف بون ما

بينهما.

ومن الأبيات المزدوجة قوله نصره الله:

هذا الحفيد وافى على قدر أقر عيني ولكن زاد في فكري

بشارة لو تلقى مثلها حجر لبان تأثيرها في ذلك الحجر

وذيلهما جماعة من أعلام حضرته نصره الله فمن ذلك:

طوالع السعد لاحت وهي شاهدة بما يفيد دليل العز والظفر

وأن دولة منصور اللواء لها حكم البسيطة بين الناب والظفر

وقوله أيضا :

بشارة رفعت للمجد قبته وآية تلبت بألسن البشر

فهي تشير إشارة الحفيد الى طي برود الصبا براحة النظر

وقال نصره الله من الأبيات المزدوجة أيضا:

أقام بقلب في هواه مقلب وأتى له بين الضلوع مقام؟

فيا شاذنا يرعى الحشا أنت بالحشا أمل لمحل أنت فيه ذمام؟

وقال نصره الله في إسم قمر بطريق التعمية وفيه الاكتفاء بالتورية:

معذبي أعجزني نيله من لي بمن مسكنه في السما

لم أنس اذ قال ألا تكتفني قلت بمن بالطرف قلبي رما

يعني نصره الله بقوله: بالطرف قلبي رما انك إذا قلبت لفظه قمر خرج رمق. فإذا اكتفيت أي حذفت الحرف الآخر يبقى رم ، وإنما زاده الألف فقال رمى لاطلاق القافية، والمعنى الآخر القريب ظاهر ، قلت لم أقف على مثل هذا العمل في الاكتفاء بالتورية على هذه الهيأة التي فعل هذا الامام أيده الله ، فيمكن أن يعد هذا من مخترعاته، إنما غاية المتقدمين أن يحدوا الاكتفاء بأنه حذف بعض الكلمة كقول الصفي الحلي في بديعيته:

قالوا ألم تدروا أن الحب غايته سلب الخواطر والألباب قلت لم

أي لم أدر ، ثم أن المتأخري لم يعدوه من المحسنات إلا إذا اشتمل على تورية كقول الامام ابن نباتة:

بنفسي أمر التاس نأيا وجفوة وأملحهم دلا وأحسنهم شكلا

يقولون في الأحلام يوجد شكله فقلت ومن ذا بعده يجد الأحلام

وإنما ذكرت هذه الشواهد لتعلم أنه لم يظفر أحد ممن قال في الاكتفاء بالتورية بما ظفر به هذا الامام أيده الله وليس الخبر كالعيان.

وجد بخط القائد الأجل البارع الأديب الفقيه أبي الحسن علي بن منصور الشيظمي أبقاه الله ما نصه:

الحمد لله كما يجب لكماله والصلاة والسلام على محمد وآله يقول علي بن منصور الشيظمي ، عامله الله بلطفه الخفي: أنه لما قضى الله للإمام المنصور ، وصل الله له أسباب تملك جميع المعمور ، بالوقوف على رسم أغمات ، وزيارة من فيها من الصلحاء الأموات ، بشهر جمادى الأولى من عام ستة وتسعين وتسعمائة كان من عادته أيده الله الارتياح الى الأدب والتشوف إلى من ينتشأ منه في مثل ذلك، فاتحته أيده الله مخاطبا له بخطاب جعلت فيه بيتا من إنشائي ، وقلت له أريد أن يجيزني أصحابنا الكتاب هذا البيت ، ونزيد معهم الى أن تكمل قصيدة ، فعرض أيده الله البيت على الكتاب ، وتحرك بسببه بحر قريحته الزاخر ، فلما أن لم يجد مجيبا لداعي الأدب، استعمل فكرته في إنشاء أربعة أبيات تذكر بعد ، ولما أكملها أوقفني أيده الله عليها ، وقال لي: دونك هذه الأبيات عارضها أنت أو ذيلها ، فقد أجبتك لما أن عجز أصحابك ، فوقفت منها على ما يسخر الألباب ، وخجلت من أن أجاري ذلك العباب، فكلف علي أيده الله إنشاء قصيدة تتم بها الأبيات ، فلم

يسعني بعد الإهمال ، وبادرت الى الامتثال ، وأبياته الأربعة هي التي بصدر القصيدة، ومابعدها من إنشائي، وهذا مطلع صباحها، ومنبع افتتاحها:

تبدى وزند الشوق تقدحه النوا فتوقد أنفاسي لظاء وتضرم

وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا على كبد حرا وقلب يقسم

ولولا تواه بالحشا لأهنتها ولكنها تعزا إليه فتكرم

فأعجب لآساد الشرا كيف تحجم على أنه ظبي الكناس ويقدم

هذه هي أبياته نصره الله والتي للشيظمي هي هذه حسبما وجد بخطه إثر ما تقدم:

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة يميد بها أملود بان مقوم

غزال على الاقدام جراة التوا بقلب جريء للهوى فيه معلم

يصول فيرضى الضد وهو مصمم وتثني المها منه العنان فيحجم

إمام على كل الكمال قد احتوى فلا فضل إلا وهو فيه متمم

لئن شغف الآرام حبا فقد سبا فؤاد المعالي وهو في الغيب مكتم

إمام على كل الكمال قد احتوى فلا فضل إلا وهو فيه متمم

لئن شغف الآرام حبا فقد سبا فؤاد المعالي وهو في الغيب مكتم

وشاق كذا بكر الخلافة فارتمت عليه جهارا والمعاطس رغم

فعانقها بين الصوارم والقنا وكانت شهودا والصداق التقدم

وحلا لها جيدا وساقا ومعصما بنصر عزيز يزدهيها ويعصم

تخطت إليه الخاطبين ولم تكن لتعدل بالمنصور والله يعلم

ولو لم يصلها لاستمرت مشيحة عن الغير أو تفنا الدنا وهي أيم

فلم لا تجر الذيل فخرا وقد سمت به حيث لم تسم شموس وأنجم

أليس هو المنصور من وطد العلا وذب عن الاسلام والخطب مظلم

ومهده بالهندواني والقنا وما أسس الرأي السديد المحكم

أليس الذي حاط البرية واغتدا به الدين مرصوص المباني مفخم

وتلل عرش الكفر عند اعتدائه وغادره بالبيض وهو مصرم

فدانت له صيد الملوك وأصبحت مماليك تمضي كل ماهو يلزم

وطاع له الدهر الكؤود وأجمعت عليه السعود تعتريه وتخدم

فشيد ما شاء العلاء ولم يدع من المجد طرا ما يفوت ويبهم

وأحيا رسوما للعلوم قد احتوى عليها العفا فهي به الآن تنعم

وقام يجلي حلاها مطبقا مفاصلها والفهم في ذاك صيلم

يبيت عليها ساهر العين كائنا بسلطانه في الرأي يسدي ويلحم

خبير بما تحوي الدفاتر مخبر ولكنه مغري بذلك مغرم

عليم بأسرار الديانة عامل وقوف على حد الشريعة قيم

إمام له إرث النبوءة والهدا دوين الملوك ان هذا مسلم

سليل رسول الله والمجتبى الذي تقر له بالفضل عرب وأعجم

فمذ ظفر الاسلام منه بصارم تيقن أن الشرك لاشك مقصم

كما أنني منذ اتصلت به سمت بي الحال وانتال الغنا حيث تعلم

وأصبحت اكنى ثم لولاه لاغتدى سمي كذا عند النداء يرخم

ولو لم أفز بالسبق منه لما اعترت عيون المعاني فكرتي حين أنظم

ولا ساغ لي صوغ القوافي أرومتها فتأتي سريعا وفق ما أتحكم

ولا طاع لي حر الكلام يزينه مديح الامام عندما أتكلم

ولا انقاد لي جيش لهام أقوده فيتعبني من خلف وهو عرمرم

ولكنه صنع له الشكر فيه لا الى فاني عن نهاه معلم

وما الشعر الا جوهر لا تناله من أبحره ذات الأعاريض عوم

ولو نيل بالأيدي لهان ولاستوى بليغ يجيد القول فيه ومفحم

ولكن بغوص الفكر بعد ارتياضه زمانا بآداب تعين وتفهم

لقد رضته الى أن انقاد واغتدى يسلم لي فيه حبيب ومسلم

وها أنا ذا قد جئت منه بمدحة فإن قصرت فالأمر من ذاك أعظم

وان صادفت قصد الامام فإنه مرامي والامر الذي كنت ار أم

فخذها أمير المومنين عقيلة تروم رضاكم فهو للفوز سلم

محبرة تروي أحاديث مجدكم فتطرب عنها النفس اذ تترنم

محلاة بالمدح مدحك قد ضفا عليها يمان من ثنائك ملم

ندبت لها من بعد أن زنت صدرها بأربعة تعلو على من يتمم

فجاءت بوجه المدح غرة أدهم وتلك تجر الذيل زهوا وتفخم

تهنيك بالزور الذي نلت أجره ويعقبه بالله فتح معمم

ويمن وإقبال وجد مجدد ونصر وتمكين مبين ومغنم

بقيتم بقاء النيرين وملككم مدا الدهر بالنصر العزيز مخدم

ولا عدمت منك الخلافة ناصرا فأنت لها دون الأنام المقدم

وقد ذيل هذه الأبيات جماعة غير المذكور ، منهم المفتي سيدي عبد الواحد الحسني رحمه الله، قال بعد أبيات أمير المومنين نصره الله:

وأعجب من ذا طور صبري عندما تجلى فدك والجنان متيم

تحمل مني القلب في شرك الهوا وحل اصطباري وهو من قبل مبرم

وغادرني مضنى حليف صبابة وقدما بتعذيبي خليق ومغرم

فلله عينا من رآنا وبيننا رسائل شوق لا تبين وتكتم

وقال في ذلك وزير القلم الأعلى ، الكاتب البارع ، أبو فارس الفشتالي أبقاه الله:

ألم يك هذا الخشف يألف وجرة فما باله بالمنحنى يتلوم

صبحت أخاه البدر في الليل ساهرا تنافسني في لثم خديه أنجم

وقالوا نظير الخيزران قوامه فقلت غلطتم إنه منه أقوم

لقد وسع الأرضين صدري فسحة وضاق احتمالا بالذي منه يكتم

وقال في ذلك الرئيس الكاتب المجيد أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي أبقاه الله:

خضوعي حاكم الغرام قضى به وشأن القضاة بالشهادة تحكم

فلو لم ير العدلان دمعي وزفرتي لما كان في رسم القضية يعلم

غزال يميس خوط بان وإنني لأنجد دابا في هواه وأتهم

فهبني أروم كتم نار صبابتي فان لسان الحال عنها يترحم

وقال الفقيه المجيد ، أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسين الهوزالي أدامه الله:

أخوض عباب الموت في حومة الوغا وسمر القنا بين الضلوع تحطم

وأصدع قلب الفليق المجر عنوة ويصدع قلبي أحور العين أفحم

وأحمي دمار الملك شرقا ومغربا ويحمي فؤادي وهو فيه محكم

وأكتم ما أنويه حتى عن الحشا وأودعت من بلواه ما ليس يكتم

تواي به ما بي أسا وصبابة سواها فماء العين عنها يترجم

ومنها أني رفعت إلى جلالة العالي أيده الله تعالى مرة رقعة أشكوا لفضله العميم بعض ما أهمني من أمور دنياي فبرز لي توقيعه الشريف أيده الله تعالى ببيتين في نظمه البارع:

يا كاتبا إذا كتب غرس روضا ذا فنن

إن جوابي للذي يشكو دناه أردده حزن

وأنت إذا تأملت هذا التوقيع الشريف وجدت بيتيه عامرين بمحاسن جمة ، أما أولا فلدلالتهما على شرف القائل فإن كل من له ذوق سليم يفهم أن هذه نفس ذي عزة وسلطان وعلو شأن وهمة من شانه أن يشكى إليه وتعرس قلاص الأمال لديه لما تدل عليه قرينة أن جوابي الذي يشكو أدناه من العظمة والجلالة والعز العريق الاصالة وأما ثانيهما فلما أفاده قوله أردد حزن من مواجهة الشاكي بالمواساة والتسلية وهذا هو الشأن في الشكوى إلى ذي مروءة فكيف ببسط

النبوءة وأما ثالثا فلما يدل عليه مجموع البيت الثاني من كرم قائله أيده الله وسعة بذله لما تقرر أن الموصول من معيار العموم فهو بذلك وعدمه أيده الله تعالى لكل من يشكو الدنا كائنا من كان برد الحزن عنه ودفع الهم عن ساحته بالمرادف الذي هو درهم الملغز فيه وما كفاه أيده الله وخلد أيامه حتى أكد الوعد بالادات الدالة على تحقيق الحصول على الأمنية وتمام البغية الهنية وبيان اللغز الذي زمله أيده الله تعالى بشعار التورية المركبة في الأصل أن قوله أردد يرادف در حكاية لقول العامة وحزن يرادف هم فحصلت التورية المركبة في الاصل أن قوله أردد يرادف در حكاية لقول العامة وحزن يرادف هم فحصلت التورية المركبة في درهم برمته وفي دورهم النفيس من أطيب المعادن وأشرف العناصر ومحاسنه أيده الله في هذا الباب كثيرة سئل الله تعالى أن يزيد مقامه الشريف تماما على الذي أحسن.

وقال معميا بإسم حظيته الشهيرة الحسن والإحسان "نسيم" :

يا هلالا طلوعه بين حجبي وغزالا كناسه بين جنبي

إن سهما رميت غادرهما لو تناهى ما شك آخر قلبي

ورأيت بخطه على هذا المحل ماصورته: قولي إن سهما تنصيص، و"غادرهما" إسقاط، وهو إشارة لإسقاط "هما" من هذا الاسم ، وقولي "لو تناهى" انتقاد ، والانتقاد: الإشارة إلى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء الاسم المطلوب ، كأن يذكر الوجه أو الصدر أو التاج أو الرأس ، ويعني به الحرف الأول من الكلمة ، والقلب والجوف والحشا والخصر، ويراد به الوسط، والآخر والمنتهى والختام ، ويقصد به آخر الكلمة، فقولي لو تناهى معناه أنه أخذ لفظة هم غير متناه ، فبقيت الميم من هما، وقولي ماشك آخر قلبي انتقاد أيضا ، وأردت بآخر قلبي الياء ، ويسمى أيضا التسمية، وهو: أن تذكر الاسم وتريد المسمى ، أو تذكر المسمى وتريد الاسم ، وقد تم الاسم.

واعلم أنهم لم يشترطوا في استخدام الاسم بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها ، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئاتها الخاصة فإذا وقع ذلك فمن المحسنات ، ويسمى العمل "التذييلي" . انتهى كلامه نصره الله على البيتين في إسم نسيم.

ومما كتب به للقطب سيدي محمد البكري:

ولما نأيت ولم أستطع وصولي إليكم بنقل القدم

أتيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

فأجابه الشيخ المذكور:

فان زرتم وتفضلتم وشرفتمونا بنقل القدم

فليس بعار ولا منقص دخول الموالي بيوت الخدم

وللشيخ المذكور أيضا كتبها للإمام المنصور أيده الله:

ولما نأيتم ولم أستطع أسير لحضرتكم بالقدم

سعيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

وقال أيضا أيده الله:

أقام بقلب في هواه مقلب وأنى له بين الضلوع مقام

فيا شادنا مرعاه حبة مهجتي أما لحشا أقمت فيه ذمام

ومن موشحاته قوله أيده الله:

ريان من ماء الصبا أهيف وممتلي البرد

كالغصن هزته الصبا فوق الربى الشهب

قد قلت لما أن سبى بحسنه يسبي

من عينه سل ظبي وغمدها قلبي

أسرني ماضي الشبا أوطف مرنح القد

يا فاضح الروض سنا بل مخجل البدر

وقاطعي ظلما عنا ومن مقره صدري

إن لم تكن شمس دنا فإنها تجري

علقته من الظبا أسجف يسطو على الأسد

قلت له وقد نهد وجد في حربي

وغلب الظبي الأسد ففاز بالغلب

الشمس برجها الأسد فاسع إلى قلبي

...وقد سمه... انصف أمنت من صد

ومنها موشحة يعارض بها أيده الله لسان الدين ابن الخطيب وابن الصابوني:

وليالي الشعور إذ تسري ما لنهر النهار من فجر حبذا

الليل طال لي وحدي لو تراني جعلته بردي فاطميا في خلعة الجعدي

هي ليلى أخت بني بشر فأين أنت يا أبا بدر كم سقطنا ألطف من طل

واجتمعنا وما درى ظلي واسترحنا من كاشح نذل

رب ليل ظفرت بالبدر ونجوم السماء لم تدر وبنفسي مهفهف ألمى ومطيع

وغرني لما سألته وقانعي مما

في رباط قسمتني صدري لحنين وناظري بدر وهلال في حسنه اكتملا هو

شمس وأضلعي الحملا قام يشدو وينثني في ملا

قسما بالهوى لذي حجر ما لليل المشوق من فجر

وقوله معميا في قمر على طريقة الاكتفاء:

معذبي أعجزني نيله من لي بمن مسكنه في السما

لم أنس إذ قال ألا تكتفي قلت بمن بالطرف قلبي رمى

وله أيده الله من المزدوج، وفيه التورية:

إن يوما لناظري قد تبدى فتملا من حسنه تكحيلا

قال جفني لصنوه: لا تلاقي إن بيني وبين لقياك ميلا

وقعت التورية بقوله نصره الله إن بيني وبين لقياك ميلا ، فالميل له معنيان ، أحدهما قريب وهو الميل الذي تقدر به الأسفار ، وهو المورى به ، والآخر بعيد وهو المورد، وهو المورى عنه ، وقد تبارى خدام حضرة هذا السلطان في تخميس هذين البيتين، ومن أشهر ذلك قول الأستاذ الحافظ سيدي أحمد الزموري رحمه الله تعالى، وكان يصلي بالسلطان التراويح:

ورقيب يردد اللحظ ردا ليس يرضى سوى ازديادي بعدا

ساءه الطرف مذ جنى الخد وردا إن يوما لناظري قد تبدى

فتملى من حسنه تكحيلا

وتصدى من فحشه في استباق يمنع اللحظ من جنى واعتناق

أيأس العين من لحاظ ائتلاف قال جفني لصنوه لا تلاقي

إن بيني وبين لقياك ميلا

وقال واصفا تمرا صنع له بلا نوى:

لله تمر طيب وافى على البشرى انطوى

يا حسنه مجتمعا يحلو لنا بلا نوى

وقد عارض البيتين الشاعر عبد العزيز الفشتالي بقوله:

أكرم به تمرا حوى طيبا على النشر طوى

أهدى الهنا لأنه تمر أتى بلا نوى

وعارضها كذلك الشاعر المسفيوي قائلا:

يا حسن تمر جال في ماء نعيم وارتوى

فاعجب له قد كان عنـ ـه إلفه بلا نوى

ويشارك الهوزالي في المعارضة بقوله:

ناهيك من تمر علا طعما وطيبا وروا

أكرم به كأنما أخلاق موليه حوى

تواصلت أهواؤه حتى تحاماه بالنوى

وفي مقامه –أيده الله– بمحلته السعيدة على أغمات ، صدرت عن جلاله العالي أبيات من نظمه البارع في الاعتذار عن ترك الوداع، وهي هذه:

تبدى وزند الشوق تقدحه النوى فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم

وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا على كبد حرى وقلب يقسم

ولولا ثواه بالحشا لأهنتها ولكنها تعزى إليه فتكرم

فأعجب لآساد الشرى كيف أحجمت على أنه ظبي الكناس ويقدم

فانتال عليها من بالمحلة من كتاب حضرته وشعراء دولته انتيال الهيم على الورد، والنحل على الشهد ، وكان أول الحلبة في ذلك الميدان ، وأحرزهم لراية السبق يوم الرهان، شيخنا العالم العلامة مفتي الإسلام ، وعلم الأعلام، أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف أبقاه الله، فقال وأجاد في المقال:

وأعجب من ذا طور صبري عندما تجلى فدك والجنان متيم

تحمل مني القلب في شرك الهوى وحل اصطباري وهو من قبل مبرم

وغادرني مضنى حليف صبابة وقدما بتعذيبي ومغرم

فلله عينا من رآنا وبيننا رسائل شوق لاتبين وتكتم

يقول الخليفة المنصور في وصف نهر المسرة بقصر البديع:

نهر المسرة إن تسل — منه الرحيق الأطيب

الطير فيها تنتقل — والغصن فيها يشرب

ومن عقده المنظوم، ورحيق أدبه المختوم، قوله:

حرام على طرف يراه منام وحل لجسم قد خفاه سقام

وكيف بقلب في هواه مقلب وأنى له بين الضلوع مقام

فيا شادنا يرعى الحشا أنت بالحشا أما لمحل أنت فيه ذمام

وكانت بعض حظاياه عليه غضبى ، وهي مجردة عليه من هجرها عضبا ،

فأهدى له حرسي وردة من بستانه ، وحياه بشير الربيع بنشرها قبل أوانه ،

فأرسلها إليها مع أبيات يسترضيها ، ويستعطف غصن قامتها بنسيم العتاب

ويستعفيها :

وافى بها البستان صنوك وردة يقضى بها لما مطلت عهودا

أهدى البهار محاجرا وأنى بها في وقته كيما تكون خدودا

فبعثتها مرتاة بنسيمها تثنى من الروض النضير قدودا

وهو في هذا كمن اهدى للبحر الدر، بل للروض الزهر، ولا أقول التمر لهجر.

وأخبر الأديب الفشتالي، أنه أنشده يوما قول الإبيوردي:

ولو أني جعلت أمير جيش لما حاربت إلا بالسؤال

فقال المنصور: لو كان الشعر لي لقلت:

ولو أني جعلت أمير جيش لما حاربت إلا بالنوال

وقال أيضا موشحة على وزن "هل درى" لابن سهل و"جادك الغيث" لابن الخطيب:

عطر الأرجاء لما نسما شمأل الصهباء عند الغلس

وأتت شمس الضحى تنسخ ما يقرأ الليل لنا من عبس

طاف بالكاس من الترك فتى مولع بالصد عني ما فتي

فتن الالباب لما التفتا واجتنى منه بعض الشفة

وأتانا بالحميا فمتى صده تيه الهوى عن الفتى

وكؤس الراح بين الله ما أرجت بالعرف أفق المجلس

خمرة صفراء في البلور ما أشبه الراح بروض النرجس

بادر اللذات واجمع شملها بمدام وغلام مطرب

ذي عيون ناعسات كم لها من فنون السحر ما يلعب بي

وافر الارداف عانى حملها ناحل الخصر وذا من عجبي

كلما أفرغ كاسا قال ما أنت بالشاري حيوة الأنفس

فابذل الجهد وكن مغتنما لنعيش العيش طيب الأنفس

فرص اللذات كن منتهزا بشذاها قبل حذف الخبر

وليالي الانس كن منتجزا قبل أن يمضي كلح البصر

واجتني زهر الهوى محترزا من جنايات هموم الكبر

لا تكن بي ما جبانا حيثما لاحت اللذات كالمختلس

ما مضى يوم ووافا مثلما كان فالدهر لنا بالحرس

للرياض اذهب ترى بلبلها يتفنى بين زهر ينجلي

وخدود الروض قد كللها دمع طل لاشتياق البلد

وقدود البان قد قام لها يانع الغصن مقام الاسل

والربى فاحت تحاكي خزما وعليها من ثياب السندس

جيبها زرر بالزهر كما زر بالفضة ثوب الاطلس

وجلا الروض لنا أشجاره ما ئسات في قباء أخضر

وترا في جيدها أنواره تئلا لا كعقود الجوهر

خلع الليل بها اطماره فقد كالصبح باهي المنظر

وبقاياه زهت فيه كماه بشفاه الفيد حسن اللعس

كعذار في محبي علما فبدا للعين لا للملمس

حبذا الصبوة أيام الصبا وعيون الشيب في سهو الوسن

فاذا أيقضها دهر صبا لصروف حد حديها وسن

جرد الشيب بياضا أشيبا واقتفى شرفي شباب وطعن

وغدا الإنسان شيخا هرما واعتراه لاعج من هجيس

فإذا امات فايقضى ندما واغتنام الوقت فعل الاكيس

لا تدع عمرك يمضي هدرا أنت إذ ذاك جبان غافل

وارق بالجهد من النبل ذرى واجتهد فالدهر ضرع حافل

إنما الايام أمثال الثرى واجري الشهم ليث باسل

ووحوش الإنس تبقى مغنما باردا الأسد لمفترس

ترك الوهم وخاض الظلما وله عزم اضا كالقبس

المصادر:

عنوان المخطوطة : موشحة لأبي العباس المنصور

ناسخ المخطوطة : أبو العباس منصور

رقم المخطوطة : ***5-1830***

تصنيف المخطوطة : الأدب

عدد صفحات المخطوطة : ***2***

(جامعة أم القرى)

مالك محمد بنونة :المستدرك على ديوان الموشحات: موشح رقم / ***125***

(مالك بنونة) – (تحت الطبع / دمشق).

مصادر لم أقف عليها :

فهرسة إبن القاضي: رائد الفلاح (رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب

بالرباط)